ضرب الحوطة

على جميع الغوطة

هو اسم رسالة في وصف بعض قرى غوطة دمشق بخط مؤلفها ابن طولون الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ ما زالت محفوظة في خزانة جامعة ليدن في هولاندة في جملة المحفوظ من كتب العرب ومدنيتهم وتاريخهم وآدابهم . وقد صوّرت هذه المرة بالتصوير الشمسي للمجمع العلمي . ابتدأ المؤلف رسالته بعد البسملة بقوله : سبحان العظيم المحيط علمه بكل قاص ودان الباسط حلمه على كل خاطئ وجان فمن عظم من خلقه فهو في قبضته وعظيم قهره ذليل متواني الى ان قال : وبعد فهذا تعليق سميته بضرب الحوطة على جميع الغوطة على حسب الامكان وبالله المستعان قال ابو عبدالله بن شداد في كتابه الاعلاق في ذكر دمشق : اما صفتها فانها من احسن بلاد الشام مكاناً واعدلها هواء واطيبها نشراً ، واكثرها مياهاً ، واغزرها فواكه ، واوفرها مالاً ، واكثرها جنداً ، ولها ناحية تعرف بالغوطة طولها مرحلتان في عرض مرحلة ، وتشتمل هذه الغوطة على خمسة آلاف بستان وثلثمائة وخمسة واربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرماً وهي من شرقي دمشق وشماليها بها ضياع كالمدن مثل المزة وداريا وحرستا ودوما وبلاس وبيت لاها وعقربا وبها كلها جوامع انتهى .

وروى عن الرسول عليه السلام قوله : فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من مدائن الشام . وعنه انه تلا آية : وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين . ثم قال : اتدرون اين هي قالوا : الله ورسوله اعلم قال : هي بالشام بارض يقال لها الغوطة بها مدينة يقال لها دمشق هي خير مدن الشام . وزعم ان عيسى بن مريم عليه السلام اشرف على الغوطة فقال : يا غوطة ان عجز الغني ان يجمع منك كنزاً لم يعجز المسكين ان يشبع منك خبزاً . قال المؤلف : الحاصل ان الغوطة مدينتها دمشق الكبرى وقد افرد لها تاريخاً معظماً الحافظ ابو الحسن بن عساكر ودونها القرى . وهاك اسماء ما وقفت عليه منها مرتباً لها على حروف الهجاء .

وقد ذكر من قراها نحو سبعين قرية ومنها ما هو من قرى المرج وهي ارزونا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الافتريس · ارزة · البويضة · البحدلية · بيت رانس · بيت الالهة · بيت سحم · بيت ابيات · برزة · بالا · برقايا · بيت نايم · بيت سوا · البُرّيه · تل الشعير · تل الذهب · جرمانا · جوبر · جسرين · جرباء · حزة · حمورية · حردان · حرستا الزيتون · حرستا القنطرة · حزرما · حران العواميد · الجديدة · الخيارة · الحديثة · داريا · دفانية دومة · الدوير · الربوة · زملكا · زبدين · الزعيزعية · السويدا · سقبا · الشجرة · الصالحية · صنعاء دمشق · الضمادة ويقال لها الرمادة · عين ثرماء · عربيل · عذرا · عقربا · قبر الست · سيدي مدرك · القابون الفوقاني · القابون التحتاني · القصير · القصور · كفرسوسية · كفر بطنا ويقال كفر بطها · لقيسا · المحمدية · المنيحة · مسجد القدم · المزة · قينية · مقرا · النيرب · يعقوبا · يلدا · ومن هذه القرى مادثر اليوم واصبحت اراضيه شمسية أضيفت الى احدى القرى المجاورة مثل «ارزونا» التي قال فيها : وهي قرية تحت القابون التحتاني وهي متوسطة لها جامع ومأذنة وشرب بها من نهر تورا وهي املاك الناس مختلفين «ارزة» وهي قرية ادركت بعض بيوت بها ولي الآن بها بيت بجنينة وادركت جامعها بمأذنة صومعة عند قبور الشهداء «بيت الالهة» هي حارة من دمشق شرقيها وبها جامع مبارك ادركت خطيبه صاحبنا الفاضل بدر الدين حسن البيت ابدي الحنبلي والآن قد خرب وللناس فيه اعتناد كثير وعليها بساتين واراض كثيرة وقع بها حديث كثير وآخر من حدث بها شيخنا المحيوي النعيمي وخرج منها جماعة من اهل الحديث «بيت ابيات» حارة كانت غربي الصالحية وقد خربت الحارة ولم يبق منها غير مسجد والطاحون ثم خرب المسجد ووقع بها حديث كثير وفيها كان جماعة من اهل الحديث . «برقايا» وهي قرية خراب فوق سقبا وقف «البُرّية» وهي قرية في المرج الشرقي وهي حصن وغالبها وقف ومنها حصة موقوفة على جامع الحنابلة . «تل الشعير» وهي كانت قرية تحت البحدلية خربة وقف على المدرسة القيمرية . «تل الذهب» وهي كانت قرية وهي الآن مزرعة ملاصقة لبيت نايم واهلها يزرعونها وهي وقف وقع بها حديث يسير . «حردان» قرية تحت سقبا ايضاً خربت كان لها حديث لجماعة من اهل الحديث افرد لها الحافظ ابو الحسن بن عساكر جزءاً ثم افرد لها شيخنا المحدث ابو المحاسن بن عبد الهادي جزءاً آخر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«حرستا الزيتون» وهي قرية كبيرة جامعة وهي من اقطاع النيابة كانت والآن صارت وقف التكية قال شيخنا ابو المحاسن وهي قرية شرقي دمشق معروفة بذلك ومن المذكور بين الناس انها اول ما يخسف بها في الدنيا وكانت قديماً قرية حديث وشربها من نهر يزيد وتورا واليها ينسب التفاح النطي وقع بها حديث كثير خرجت لها جزئين وخرج منها جماعة من اهل العلم انتهى قلت (المؤلف) منهم الامام محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما . قلنا وهذه القرية هي المعروفة اليوم بحرستا البصل قرب دومة من اعمر قرى الغوطة واكثرها زيتوناً . «دقانية» قرية صغيرة تحت ارزونا ولها جامع وعليها كروم وشربها من نهر تورا . «الشجرة» وهي كانت قرية خربت وهي من جملة صدقات الحنابلة . «صنعاء دمشق» قال شيخنا المحبوبي النعيمي في مسودة تاريخه وهي قرية خربت وبقي مزارعها على نهر الخلخال بالقرب من المنيبع خرج منها جماعة من المحدثين نحو عشرة انتهى . «الضمادة» ويقال لها الرمادة وهي قرية بقرب عذرا خربت وهي وقف من جملة صدقات الحنابلة «قرية سيدي مدرك» بالقرب منها «قبر الست» وفي كونه هناك خلاف «القابون الفوقاني» وهو قرية كبيرة تحت برزة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق وغالب اهلها تركمان وبها رؤساء واعيان وشربها من نهر يزيد وقع بها حديث . «القابون التحتاني» وهو بلدة كبيرة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق وبها خلق من تركمان وحوارنة وغيرهم وبها يعمل خميس البيض وقد افردت له تعليقاً وشربها من نهر يزيد واليها ينسب الخيار الجيد وقع بها حديث وخرج منها جماعة من العلماء والصلحاء «القصير» ويقال قصير القوافل وهي قرية متوسطة على طريق المارة وهي بلدة غربي كفرسوسية وقد خربت وهي الآن خراب . «مقرا» وهي كانت قرية فخربت شرقي الصالحية ادركت فيها السبع قاعات والآن باقي بها مسجد ومأذنة عند طاحونها على نهر تورا و«قينية» وهي قرية خربت خلف ميدان الحصا «النيرب» غربي الصالحية وكان له اسم خاص وبه بيوت وبساتين وهو الآن مضاف الى اسم الصالحية وله جامع وحمام وقد خرب ووقع بها سماع حديث كثير افردت له جزءاً قال الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة توضيحه والنيرب من قرى الغوطة وهي قرية حسناء من محاسن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قرى دمشق من اقليم بيت لهيا كثيرة المياه والبساتين وبها جامع حسن تقام فيه الجمعة . . (يعقوبا) وهي قرية صغيرة غربي حزة وشربها من نهر تورا وفم بها حديث ببعض الاجزاء

هذه هي القرى التي ذكرها ابن طولون في الغوطة وليست بها الآن وقد استفدنا منه ان (البويضة) كانت بلدة كبيرة قبلي دمشق وهي الان مزرعة وقال في قرية «جوبر» شرقي مدينة دمشق فيهود وبها ثم جماعة من المسلمين . ولا يسكنها اليهود اليوم بل لهم فيها كنيس يقصدونه فقط . وان «جسرين» كانت على عهد المؤلف قرية وكانت من قبل بلدة كبيرة وان «داريا» بلدة كبيرة وان «دومة» وهي اكبر قرى الغوطة اليوم بل حاضرتها كانت في عهد ابن طولون قرية كبيرة من امهات القرى وان «الربوة» كان بها بيوت ودكاكين وحمام وخربت في ايامه عدة مرار وعمرت وان «زملكا» كانت بلدة كبيرة وهي الآن قرية متوسطة وان «سقبا» بلدة كبيرة وهي من امهات القرى الى اليوم . وان «عين ثرماء» و«عربيل» ويقال عربين كانتا قريتين جامعتين ، عين ثرماء اليوم قرية صغرى وعربيل من ضخام القرى وان «عقربا» كبيرة وهي من جملة اقطاع النيابة واليها ينسب القماش العقربانى وان «قبر الست» و«كفرسوسية» و«عذراء» كانت بلاداً والاخيرتان اليوم ، اوسع من الاولى و قبر الست وعذراء في حكم القرى الصغيرة .

اما القرى التي كان حقها ان تطرح من جريدة قرى الغوطة فهي «بيت نايم» التي قال فيها انها من المرج وهي اول قراء «البُرية» من المرج الشرقي و«تل الشعير» و «جوبا» و «حرستا القنطرة» و«حزرما» و«الحديدة» (بالحاء المهملة) و«الخيارة» و«الدوير» ويقال دير ابن عصرون و«الزعيرعية» و «الضمادة» ويقال لها الرمادة قرية بقرب عذراء عدها كلها من المرج وعد «المحمدية» من قرى المرج ايضاً وقال ان زبدين آخر قرى المرج الى غير ذلك من الفوائد . وقد وقعت رسالة ابن طولون في ثمان صفحات وفي كل صفحة ٢٣ سطراً وفي كل سطر من ١٤ الى ١٦ كلمة بخط دقيق ورقم هذه الرسالة في قاعة المخطوطات العربية في جامعة ليدن (١٨٦٢)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
www.arabkan.net

استفدنا من ابن طولون ان حد الغوطة من الشرق قرية زبدين والغالب ان آخر القرى المشجرة التي تسقى بماء بردى هي من الغوطة، والمرج يبدأ بعد ذلك، وليس لقدماء الجغرافيين تحديد شافٍ لها ومعظمهم على انها مرحلة في مثلها (المقدسي) او ان طولها مرحلتان في عرض مرحلة (القزويني) وكان فيها في القرن التاسع اي قبل عصر ابن طولون اكثر مما عدّ من القرى قال الظاهري في زبدة كشف الممالك وقيل ان في اقليم الغوطة نيفاً وثلثمائة قرية وبه مدن صغار وبلدان تشابه المدن وليس في الغوطة اليوم اكثر من خمسين قرية عامرة واطلال المزارع والقرى الداثرة ظاهرة للعيان في بعض المحال

وقال شيخ الربوة من اهل القرن الثامن ان الغوطة من حيز دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً مشتبكة القرى والضياع لا تكاد الشمس تقع على ارضها لاحتفاف اشجارها والتفاف ازهارها وقد ورد في الشعر ذكرها مراراً واحياناً بلفظ التثنية، وفي مراصد الاطلاع ان النيرب قد جاء في الشعر مثنى فلعل ياقوت فهم منه ان هناك موضعاً آخر وليس كذلك فان الشاعر قد ثنى الغوطتين وليس الا غوطة واحدة وهو في الشعر كثير وقد ثنوا الجعلب وهو جبل بناحية المدينة كما ثنوا الغيضتين والنيربين

وذكر ياقوت ان البريص اسم الغوطة واستشهد بابيات حسان بن ثابت في قوله:

لله در عصابة ناديتهم يوماً بجلق في الزمان الاول
اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية المعمّ المخول
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال وهذان الشعران يدلان على ان البريص اسم الغوطة باجمعها الا تراه نسب الانهار الى البريص وكذلك حسان فانه يقول يسقون ماء بردى وهو نهر دمشق من ورد البريص وأورد رواية ابي اسحق النجيرمي في اماليه من ان العرب تقول لا ابرح بريصي هذا اي مقامي هذا وقال وفيه سمي باب البريص بدمشق لانه مقام قوم يرون. والغوطة بالضم والسكون وطاء مهملة وهو من الغايط وهو المطمئن من الارض وجمعه غيطان واغواط قال ابن الاعرابي الغوطة مجتمع النبات وقال ابن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شمال الغوطة الوهدة في الارض المطمئنة قاله ياقوت في المعجم وقال ان استدارة الغوطة ثمانية عشر ميلاً

وقد ذكر علماء التاريخ وتقويم البلدان اسماء قرى كانت كثيرة في الغوطة ولها شأن ومنها دير مران ودير بولس ودير بطرس والاول في سفح قاسيون والديران الثانيان كانا بظاهر دمشق في نواحي بني حنيفة في ناحية الغوطة واياهما عنى جرير بقوله:

لما تذكرت بالديرين ارقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس
فقلت للركب اذ جدّ الرحيل بنا يابعد يبرين من باب الفراديس

ويبرين موضع بازاء الاحساء في جزيرة العرب وباب الفراديس هو باب العمارة احد ابواب دمشق الشرقية وكان فيه قصور عظماء دمشق في القديم خرب في القرن السابع ومن قراها «دير بوتا» بجانب الغوطة في انزه مكان ومن اقدم ابنية النصارى يقال انه بني على عهد المسيح عليه السلام او بعده بقليل و «دير محمد» و «دير هند» و«دير بشر» عند حجير بغوطة دمشق ينسب الى بشر بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية امير المؤمنين من قبل اخيه عبدالله بن مروان . ولا تعرف اليوم الا قناته التي يقال لها قناة دير بشر وتمر من حوش بلاس . ومثل ذلك كثير في الغوطة تفقد القرية ولا يفقد اسمها او اسم نهرها مثل نهر الداعباني نسبة لاقليم داعية وداعية كانت قرية بين حمورية وبيت سوا وهي حاضرة الاقليم وقناة بيت رانس وكانت بيت رانس قرية فيها قبر ابي مرثد دثار بن الحصين الهمداني والقناة تمر اليوم بارض الشاغور ومنها نهر حردان وحردان كانت فوق سقبا معروف بهذا الاسم الى اليوم والقرية التي ينتسب اليها حردان من جملة ما دثر

ومنها «دير حنينا» و«دير قيس» و«دير ايتا» و«دير خالد» وهو دير صليبا المنسوب الى خالد بن الوليد لنزوله فيه عند حصاره دمشق . قال ابن الكلبي : هو على ميل من الباب الشرقي و«دير زكى» قال ابن شاكر وفي قرى الغوطة والمرج من القصور والديورة والمنازل المعروفة والاماكن المذكورة مما عفي رسمها وبقي ذكر اسمها . وذكر منها فندق بني عبد المطلب وفندق الراهب وسطرا والارزة وقصر الليثان ومما ذكروه فيها تلفيثا وفذايا وطرميس والصفوانية (لعلها الصوفانية) فانهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حدودها خارج باب توما من اقليم خولان ومنها السقي والسفليون وسام والنمرانية وبيت قونا او قوفا وقلبين وقصر بني عمر وطبرة قال الشيخ زين الاسناء ابن عباد بدمشق عدة قرى يقال لكل واحدة منها طبرة بني فلان والنسبة اليها طبري ومنها توماء اسم قرية بغوطة دمشق واليها ينسب باب توماء من ابواب دمشق قال جرير

لا ورد للقوم ان لم يعرفوا بردى اذا تجوّب عن اعناقها السدف

صيحن توماء والناقوس يقرعه قس النصارى حراجيجا(١) بناتجف

ومنها جديا وحرلان ورحبة خالد والجامع والميطور (اهـ) ملخصاً من كتابي المخطوط «خطط الشام»

محمد كرد علي

(١) تجف تسرع والحراجيج جمع الحرجوج الناقة السمينة الطويلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net